

# الإِبَاعُ فِي الْعَرَبِيَّةِ

الدكتور محسن فضار

(جامعة القاهرة)

وطبيعي ان يلقى تلاميذهما منها هذه الامثلة، ويسمعوا وراء نظائرها ، ثم ينحوها تلاميذهم . ترد في كتب الإباع أسماء يونس بن حبيب والاصمعي وأبي زيد وأبي عبدة والكتانى وقطرن وابي عمرو الشيباني والفراء والاحمر واليزيدى وابن الامرائي ، وتشير المعاجم الى ما تعالج من امثاله ، منذ العين للخليل . بل الرد ابن دريد في جمهرته فصل للإباع (4) .

وبالرغم من ذلك ، اختالف العلماء في تصوّرهم للإباع نتيجة اختلافهم في الصفات التي اشتربوا توافرها في الإنفاق التي يمكن ادخالها فيه . وبحسن بنا - حين نرحب في تتبع هذه الشروط - أن نعالجها وفق التصنيف التالي :

1 - من حيث المعنى : ذهبـت جمـاعة من المـتقـديـن إـلـى أـنـ النـفـقـ التـابـعـ لـأـعـنـهـ لـهـ أـصـلاـ . وـأـقـدـمـ مـنـ وـصـلـتـ إـلـىـ بـنـاـ مـنـهـ أـنـوـالـ تـدـهـبـ هـذـاـ الـدـهـبـ ابنـ الـأـمـرـائـيـ (231ـهـ) . قالـ تـلـبـ فـيـ اـمـالـيـهـ (5) : قالـ ابنـ

الإباع ظاهرة لغوية عامة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل تتبه من مرفق غير العربية من القدماء إلى وجودها في هذه اللغات ، فقال احمد بن فارس (1) : « وقد شاركت المجم العرب في هذا الباب » . ونستطيع نحن أن ندرج تحت « المجم » من نعرف لغته من الشعوب الأوربية مثل الانجليز والفرنسيين .

وفطن اللغويون منذ عهد مبكر إلى ظاهرة الإباع . فأورد أبو عمرو بن الصلاء رأس مدرسة البصرة أمثلة منها . جاء في كتاب أبي الطيب اللغوي (2) : « قال أبو عمرو : سمعت أمرانيا يقول لآخر : ألك تحسب الأرض ملي حبها بيمها ، يكسر أوله ... . وقال أبو عمرو : يقال : رجل طب لب . وهو العالم ... » . وذكر أبو الطيب أيضا مثلا منه من رأس مدرسة الكوفة ، قال (3) : « حكى الحباني من ابن جعفر الرؤاسي أنه يقال للرجل : انه لمجنون مخنون ... » .

(1) الصاحبي 226 . الشعالي : فقه اللغة 566 . السيوطي : المهر 1 : 414 .  
(2) الإباع 14 ، 77 .

(3) الإباع 39 .

(4) 429 - 3 .

(5) السيوطي : المهر 1 : 414 ، 416 . وانظر احمد بن ثارس : الصاحبي 226 ، والإباع 28 .

مكان عمير بجبر . فالعمير من العماره ، لم يسل  
بمعنى معمول ، ويجب الاباع ..

ونجد امثلة اخرى للتابع فيها معنى معروف ،  
غير انه لا يستعمل بصيغته هذه وبمعناه هذا مفرداً ،  
بل لا بد ان يجتمع مع اللفظ الذي يتبعه . ويمكن  
ان نقسم هذه الامثلة الى قسمين : (ا) قسم يكون فيه  
التابع مرادنا لللفظ المتبع . قال (11) : « ويقال يوم  
مكبك اكبك ، ويوم عك الله : اذا كان شديد الحر .  
والاكبك بمعنى المكبك ، الا انه لا يفرد . قال الراجز :

يوم مكبك يحصر الجلسوذا  
يترك حمران الرجال سودا  
ولبلة خاسدة فسودا  
سوداء تفشي النجم والغرقودا

.. وانه لکثیر بشير .. والبشير من قوله : ما  
بشر : اي كثیر . الا انه لا يقال : شيء بشير اي كثیر  
الا على وجه الاباع .. ويقال : مائق دائم ، من  
قولهم : رجل مدقوق : اي ممحق والدوق العميق ،  
وكذلك الوق . يقال : ماق الرجل يموق موئنا . قال  
الراجز :

يا ايها الشيخ الكثیر الموق  
ام بمن وضخ الطريق

ولا يتكلم بالدائق مفرداً . ويقال : انه ليعمق  
موائمه ومذوقها ، وداق يدوق دوائة وذؤونها ابضاً .  
(ب) والقسم الثاني لا يرادف فيه التابع متبوعه بل  
يختلف معناهما ، غير انه لا يفرد ايضاً بصيغته  
ومعنه المرادين في الاباع . قال (12) : « ويقال :  
شحيح التابع : من قوله : اتبع بحمله يانع انوحاً : اذا  
ترجر به من ثقله ، ولا يفرد الاباع .. ويقال انه  
لشحيح بسيح ، وهو من البحة . ولكن لا يجوز  
افراده .. تقول العرب : لا بارله الله ليه ولا تارله .  
ولا يقولونه الا هكذا . فهو - وان كان ماخوذ من  
الترك - فلا معنى له في هذا الموضع الا الاباع »

الامرائي : « سالت العرب : اي شيء معنى شيطان  
لبيطان ؟ فقالوا : شيء تند به كلامنا » : نشدء .  
وتابعه الحسن بن بشر الامدي (371 هـ) الذي اعلن  
(6) : التابع لا يفيد معنى اصلاً ، ولهذا قال ابن  
درید : سالت لها حاتم عن معنى قوله : بسن ،  
فقال : لا ادري ما هو . وسار وراءهما في هذا  
الطريق ابن الدهان (7) الذي رأى ان التابع في  
مبين معنى بنفسه من نفسه . ويؤكد هذا القول يكون  
ما قاله نصر الدين الرازي ، وان سب كلامه على انكار  
الترادف بين التابع والتبع حين قال (8) : « ظن  
بعض الناس ان التابع من قبل الترادف لتشبيه به ،  
والحق الفرق بينهما ، فان الترادفين يفيدان فالدالة  
واحدة من فهو تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئاً ،  
بل شرط كونه مفينا تقدم الاول عليه » .

وخلفت جماعة اخرى من ذكرتهم ، ولم  
يشترطوا عدم المعنى ، اذ رأوا ان التابع قد يكون له  
معنى وقد لا يكون . ويتشتم الى هذه الجماعة ابو علي  
القالي ، وابو الطيب الغوي ، وأحمد فارس ، وابن  
برقي ، والناج السبكي . قال الاخير يرد على  
الامدي (9) : « التحقيق ان التابع يفيد التقوية ،  
فان العرب لا تضعه سدى . وجمل ابي حاتم بمعناه  
لا يضر بل مقتضى قوله : انه لا يدري ، معناه ان له  
معنى ، وهو لا يعرفه » .

وعندما نتتبع امثلة الاباع عند ابي الطيب  
الغوي نخرج بصور مفصلة محددة . فنانا نجد عنده  
امثلة لا معنى للتابع فيها ويمثلها اسم الاباع لأنها  
الاصل فيه . قال (10) : « قال قطرب : يقال : بسلا  
واسلا : اي حرام محروم . والبسيل هاهنا العرام ،  
والاسل اباع . قال الشامر :

ایشت ما تلتس ، وتلفس زیادتسی  
یدی - ان اسپفت هذه لكم - بسل

اي يعني التي اعطيتكم يدي بها حرام عليكم ..  
وانه لکثیر بشير بدير بجبر : كله اباع .. ويقال :

(6) المهر 1 : 15، 4 . (7) المهر 1 : 424 . (8) المهر 1 : 415 . (9) المهر 1 : 416 . (10) المهر 13، 5 . (11) المهر 13، 8 . (12) المهر 13، 7 . (13) المهر 17، 28 .

وهو في معنى الآخر » . بل أكثر من ذلك أورد ما ليس باباً ، وما ليس من الكتاب . قال (19) : « ومن ذلك – وليس باباً – رجل أشقر افقي خبق: للطويل » . وقال (20) : وذرق الطائر وزرق وزرق وخلق ، وليس من الباب » .

يبين لنا هذا أن كتاب ابن فارس يضم خليطاً من العبارات ، حار فيها المؤلف نفسه ، واعطاها اسماء متعددة وادخلها في كتابه ، وهو يؤمن أن بعضها على الأقل لا يتصل بموضوع الكتاب . ولا يقف الأمر عند هذا بل نجد الصورة المبعثة المختلطة نفسها فيما سماه بـ«التابع» . إذ نستنتج من بعض آفواهه أن التابع لا معنى له . قال (21) : « يقولون: هو ملبع قریب ، وهذا تابع . وقد يكون من افراح القدر وهي الانحصار ... يقال جائع نالع . الكسالي: هو تابع . ويقال : هو العطشان .. أبو زيد : هو تافه نافه : أي حقير ، كلما قاله في التابع . وقد يمكن أن يقال : اشتاقه من نفثت نفسه ، أي ابعت وكانت » .

ونستنتج من بعضها الآخر أن التابع له معنى معروف ، ولا يهم أن يكون هذا المعنى مرادفاً لمعنى التبوع أو مختلفاً عنه . قال مثلاً (22) : «اللحياني: ما عنده على أصحابه تعريج ولا تعويج : أي افامة .... وفلان لا يغير ولا يمكر ، يقال للميرية الفيرة ايضاً .. ويقال ذهب حبره وسفره . العبر والسفر: الجمال والبهاء » . وقال (23) : تقول العرب: انه لسائب لافب . فالسائب : الجائع . واللافب: المعين الكال ... ويقولون : خب ضب . فالضب : البخيل المسك . والغب : من الغب ... وما عنده

ولا يعطيها كتاب أحمد بن فارس مثل هذه الصورة الواضحة . ولعل سبب ذلك أنه لم يفرد هذه للتابع . بل جعله – كما يبين من متواته – « للتابع والمزاوجة » . وقد يتضادر إلى الدفن إن المؤلف يعدهما شيئاً واحداً . ولكن ذلك غير صحيح، فهو يعلن في السطر الأول من كتابه (13) : « هذا كتاب الاباع والمزاوجة ، وكلاهما ... » فيفرق بينهما، كذلك يورد في داخل الكتاب من التعليقات ما يؤكد هذه التفرقة . قال (14) : « قال الأصمي: رجل خياب بباب . قال : خياب : من خاب ، وبباب تزويع ، وهو يصلح أن يكون اباماً » .

ولم يقتصر المؤلف على المزاوجة . بل أورد في كتابه أمثلة قليلة مما سماه «الاسجاع» و«الامثال» . على الرغم أنه أهل في آخر الكتاب أنه خصم لها كتاباً . قال (15) : « وسترى ما جاء في كلامهم في الأمثال ، وما أشبه الأمثال من حكمهم على السجع ، في كتاب «امثلة الاسجاع» ، ان شاء الله تعالى ». وعلى الرغم أنه يعترف أن الاسجاع ليست من صنف الكتاب ، قال (16) : « ومن الاسجاع . وليس من هذا الباب : قول صالح الدابة : برئت إليك من الجحاح والرصاح » .

وأورد ما سماه تأليفاً للكلام ، وتأكيداً ، دون أن يبين ماذا يقصد من ذلك ، وما صله بالتابع ، قال (17) : « وما يراد به تأليف الكلام قولهم : ارب فلان ، والب ، فهو مرب وملب : اذا اقام ». وقال (18) : « لا اعمله سجين مجييس : يريدون الدهر . الاصمعي : لا آتيك سجين مجييس : اي الدهر ، وسجينه : آخره ، ومنه قيل للماء القدر : سجين ، لأن آخر ما يبقى . والمجيس تأكيد ،

- 
- |                  |                  |                       |             |
|------------------|------------------|-----------------------|-------------|
| • 49 . (18)      | • 30 . (17)      | • 43 ، 37 . (16)      | • 70 . (15) |
| • 52 ، 29 . (23) | • 42 ، 34 . (22) | • 68 ، 54 ، 35 . (21) | • 29 . (14) |
| • 28 . (13)      | • 61 . (20)      | • 60 . (19)           |             |

واحدة منه الشعالي حين قال (30) : « الابياع : ان تبيع الكلمة على وزنها او روتها اشباحاً وتوكيداً » . فاذا كان اتحاد الروي غير لازم ، والاتحاد الوزن غير محتم ، ثان الابياع لا يخلو منها مما ..

3 - من حيث التعبير : اجمع الذين تعرضوا للابياع ان اللفظ التابع لا ينفصل عن المتبع ، سواء كان له معنى او لم يكن ، ولا يجيء في التعبير منفرداً مطلقاً . وانخد ابو الطيب من انفراد الكلمة الثانية المقياس الذي اعتمد عليه في الفعل بين الابياع والتوكييد . فما لم ينفرد فيه اللفظان سماه ابها . وما انفرد فيه اللفظ الثاني سماه توكيداً . ولكن ابن فارس اقر لى مرة واحدة وجود ابیاع ينفرد . قال (31) : « ويقال : خراب بباب . وقد يفرد الباب . قال عمر بن ابي ربيعة :

كست الرياح جديدها من تربها  
دققاً وأصبحت العراض بباب

نها ابیاع الا انه افرده » . اما ابو الطيب فقد تخلص من هذا المأرث بان جعل امثاله في التوكيد (32) ..

واشترط الكسائي وابو عبيد وابن بري الا يعطى الابياع باداة . قال ابو عبيد في فريب الحديث (33) : « قال الكسائي .. واما حديث ادم عليه السلام : انه استحرم حين قتل ابنه ، فمكث مائة سنة لا يضحك . ثم قيل له : حياك الله وبياك . قال وما بيالك ؟ قيل : اضحكك . ثان بعض الناس يقولون في بيالك : انه ابیاع . وهو منشي - ملئ ما جاء تعبيره في الحديث - انه ليس بابیاع . وذلك ان الابياع لا يكاد يكون بالواو ، وهذا بالواو ، ومن ذلك قول العباس في زمزم : هي لشارب حل

نبض ولا نبض : اي كثير ولا قليل . ويقال : الامطاء والمنع » .

2 - من حيث الصورة : اقدم من تناول هذا الجانب صراحة ابو علي القالي ، الذي بطن الى اتحاد الحرف الاخير في التابع والمتبع ، او ما سمي بعد ذلك اتحاد الروي . قال من العرب (24) : « مدحهم في الابياع ان تكون اواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسعج » .

ولكن ابو الطيب وابن فارس رؤيا ابها لم يلتزم الروي الواحد . قال ابو الطيب (25) : « يقال في الدباء على الرجل : جوها وجودا وجوسا . فالجود هو الجوع بعينه . وقولهم جوسا ابیاع » . وقد نبه ابن فارس على هذه الظاهرة الشاذة متى اورد « وجدوا وجوسا » . ودفعه هذا الى عدم اشتراط الروي الواحد ..

وفطن ابن فارس ايضاً الى ان اكثر الابياع يتماثل التابع والمتبع فيه في الوزن وان كان ذلك ليس بالشرط الواجب . فقد اورد في الابياع (27) : « يقولون : وهو لك ابداً سرداً سرداً .. واكثر ابو الطيب من امثلة الابياع غير المتماثل الوزن . مثل (28) : « يقال : لا دريت ولا البت . مقصور اوله .... ويقال : جوها دقوما ، اذا دعسي على الانسان ، ويسكب الرجل فيقال : دفعما دفعما شفنتما . وفعلت ذلك على رفمه ودفعه وشفنته » . ولذلك يتحقق لنا ان نقول ان تاج الدين السبكي اخطأ حين قال (29) : « فالتابع من شرطه ان يكون على زنة المتبع » .

ويؤكد لنا هذا ان احسن تعريف يتنظر الى هذا الجانب للابياع هو ما جاء به احمد بن فارس ،

---

(24) الامالي 2 : 217 .  
(25) المزمر 1 : 416 .  
(26) الاصحبي 226 . فقه اللغة 566 .  
(27) (31) (32) (33) . 35 . 217 . 415 .

ووافقهما ابن الدهان ، وجمل الابياع من قبل التوكيد اللغظي ، واتى بالصلل التي تدمع رأيه . قال السيوطي (40) : « قال ابن الدهان في الفرة في باب التوكيد : منه قسم يسمى الابياع نحو مطشان نتشان ، وهو داخل في حكم التوكيد عند الاكثر . والدليل على ذلك كونه توكيدا لا اول غير مبين معنى بنفسه من نفسه ، كاكتبع وابصع مع اجمع .. والذى هندي ان هذه الالفاظ تدخل في باب التوكيد بالتكرار ، نحو رأيت زيدا زيدا ، ورأيت رجالا رجالا . وانما غير منها حرف واحد لما يجيئون في اكثر كلامهم بالتكرار .. »

واعلن السيوطي (41) وجود قوم يفرغون بين الابياع والتوكيد . واعتمادهم في هذه التفرقة على امررين : اولهما ان الفاظ الابياع تختلف عن اكتبع لانها تجري على المترنة والنكرة ، على حين لا تجري اكتبع الا على المعرنة ، ولأنها غير مفتقرة الى توكيدها قبلها بخلاف اكتبع . والثاني ان الابياع مالم يحسن فيه او المطف . والتأكيد تحسن فيه الواء .

ويتفق مع هؤلاء تاج الدين السبكي الذي قال (42) : «الفرق بينه وبين التاكيد ان التاكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز . وايضا فالتابع من شرطه ان يكون على زنة المتبع والتاكيد لا يكون كذلك »

ونستطيع ان نضم اليهم ابا الطيب اللغوي لانه جمل الواء التي ادخلتها في كتابه صفين : الصنف الاول سماه الابياع ، وهو ما لا يتفرد لفظه به ابدا . وسمى الثاني التوكيد ، وهو ما يمكن ان يستقل لفظه الثاني بنفسه . وبرغم ذلك لم يكشف لنا ابو الطيب الغرض من الابياع . ولمله تعرض لذلك في الجرة المقود من مقدمته .

اما احمد بن فارس فرأى ان الابياع لا يقصد الى التاكيد وحده ، بل البه والى ما سماه الابياع

وبل . فيقال : انه ايضا اباع وليس هو مندي كذلك لمكان الواء » .

وجاء في لسان العرب تعليقا على قوله : جوما ونوا (34) : « قال (ابن بري) : وال الصحيح ان هذا ليس اباما لأن الابياع لا يكون بحرف المطف ، والآخر ان له معنى في نفسه ينطبق به مفردا غير تابع » .

ولكن ابا الطيب اللغوي (35) رفض هذا الرأي ، ورد عليه ردآ حسنا ، معتمدا على مسلك العرب في تعبيرهم . فقد رآهم يقولون : هذا جائع نابع ، للدل على انه اباع . ورآهم يقولون في المعاه على الانسان : جوما ونوا ، فادخلوا الواء . فلو اعتمدنا عليه قلتنا انه ليس اباما . ومحال ان تكون الكلمة الواحدة مرة اباما ومرة غير اباع . انن ليس الاعتبار بوجود الواء او عدمها .

ونستعين من دراسة امثلة الابياع انه ليس من المحتم ان يتألف من لفظين فقط ، بل قد يتألف من ثلاثة ليقال (36) : انه لحسن بسن قسن . ولعله خطأ بظا كظا : وانه لقبع شقيق لقبع . ويبدو انه تالف احيانا من اكثر . قال ابو الطيب (37) : « يقال في الكثرة : انه لكثير نمير بشير بدبر هغير ، وعمر ايضا » .

4 - من حيث الفرض : اول من تعرض للفرض من الابياع الكسالي ، واعلن انه يراد منه التوكيد قال (38) : « انما سمي اباما لأن الكلمة الثانية انيما هي تابعة لل الاولى على وجه التوكيد لها » . ويؤكد لنا صحة هذا القول الجواب الذي تلقاه ابن الامرabi من العرب حيث سالمهم من معنى شيطان ليطان .

وانفق ابو علي القتالي (39) مع الكسالي . غير انه يقصر التوكيد على نوع واحد من الابياع ، ذلك الذي يكون فيه اللفظ التابع بمعنى المتبع .

(34) مادة نسوع . (35) ابو الطيب 71 ، 72 ، 76 ، 77 ، 96 ، 99 . (36) ابو الطيب 3 . (37) المهر 62 . (38) المهر 1 : 415 . (39) الامالي 2 : 208 . (40) المهر 1 : 424 .

(41) المهر 1 : 424 - 25 . (42) المهر 1 : 416 .

وهو نوعان :

1 - نوع يجيء التابع فيه باللفظ واحد بعد المتبوع ، فهو حسن بسن ، وحار بار .

2 - نوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع ، نحو حسن بسن قسن ، ويكثر ان تكون الكلمة التابعة مبدومة بميم نحو صفر مقر ، وشلر مدر .

(ب) واما ان يكون التابع متصلا بالمتبوع وله معنٍ : ولا يجيء مفردا كما هو في القسم نحو مطشان نشان .

#### 2 ) الاباع الفعلى :

1 - والافعال في هذه القسم الثاني قد تكون ظاهرة وبالفظ واحد نحو ميس ويسر .

2 - وقد تكون مقدرة كالمصادر التي قدرت افعالها نحو قبحا له وشققا ..

وند يجيء الاباع الفعلى بلغظتين تابعين نحو : لا بارك الله في الشعوب ولا تارك ولا دارك .. والحق ان الاباع ظاهرة لفوية ، واسعة النطاق متعددة الاشكال ، كثيرة الاسباب والغايات . ويجب ان ننظر اليها في ضوء من اشكالها الاخرى لتحسين رؤيتها ، ونشنم تصورها ..

فاللغة عرفت الوانا اخرى من الاباع ربما لا ترد على الخاطر في هذه الدراسة ولكن ذلك واجب ، لأنها ذات صلة بما نتحدث منه الان .

فقد اجرى العرب - وغير العرب - الوانا من الاباع . فطن اليها اللغويون وال نحويون والصرفيون ، ودرسواها ، ولكنهم لم يربطوا بينها وبين ما بين ايدينا الان من اباع . ونحن حين ننظر في هذه الالوان نستطيع للتسهير ان نصنفها في فئتين : الفئة الاولى . جرت في المفردات الفوية ، والثانية في المركبات .

اما المفردات فقد خضعت لتوسيع من الاباع : نوع جرى في حركاتها وآخر في حروفها .. وكلتا التوسيعين يضم المطرد من الاباع وغير المطرد ..

دون ان يحده ، كما نستبين في قوله الذى اوردته سابقا .

ويؤدي بنا هذا الى ان العلماء لم يتفقوا على تصور واحد للاباع ، وان بعضهم اعطاه صفات حرمه بعض الآخر اياها . وكانت الشرة الطبيعية لهذا ان اختفت الاقسام التي وضعوها له . واقدم ما بين يدي من اقسام ما اقطع به ابو علي القالي : وكشف عنه في قوله (43) « الاباع على ضربين :

فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الاول . فيؤدى به توكيدا ، لأن لفظه مختلف للفظ الاول .

وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الاول » .

ويؤخذ على هذا التقسيم انه اهل ما لا معنى له من الاباع : وهو الاصل . وصورة التابع . وقد نظر احمد بن فارس الى هذا التقسيم واراد ان يتجنبه . فجاء بتصنيفين لا واحد ، نظر في الاول منهما الى صورة التابع ، وفي الثاني الى معناه . قال (44) : « هذا كتاب الاباع والمراوجة . وكلاهما على وجيهين :

احدهما ان تكون كلمتان متوايتان على روى واحد .

والوجه الآخر ان يختلف الروبيان .

ثم تكون بعد ذلك على وجيهين :

احدهما : ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف . الا انها كالاباع لما قبلها .

والآخر : ان تكون الكلمة الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتغال » .

ويمكن ان نأخذ على هذا التقسيم اپسا انه اهل الوزن .

وأشمل تقسيم للاباع هو الذي قام به الاستاذ عمر الدين التوكхи ، وقال فيه : « ان الاباع يكسون في الاسماء وفي الافعال :

1 ) الاباع الاستمن قسمان :

ا) اما ان يكون التابع متصلة بالمتبوع وبمعناه ، او ليس له معنٍ ؛ ثم لا يجيء مفردا .

(43) الامالسي 2 : 208 .

(44) 28 .

وأقصد بالاتباع في حروف المفردات ما يجري  
فيها حين تُخضع لابدال أو ادغام . فالقياس المطرد  
في نون انفعل من الانفصال المبدوة بعيم جواز قلب  
نونها مبما متّابعة ليم الفعل ثم ادغام الميمين معاً .  
فتتّقول امحى في انمحى . والقياس المطرد في تاء  
انتعل من الافعال التي ناؤها دال أو ذال أو طاء أو ظاء  
او ثاء او ساد او سين او زاي او ضاد جواز قلب التاء  
الي حرف مماثل للفاء ابضاها لها ثم ادغام الحرفين  
فتتّقول ادان واذذكر واظلم ..

وانما تجري اللغة ذلك لتجمل للحرفين الدين  
كانا مختلفين مخرجا واحدا ، فتيسر على الناطق ان  
ينطق بما ، كما حدث في الالوان السابقة من اتباع  
المركمات .

كذلك تخضع المركبات لالوان مشابهة من  
الاتباع ، اطrod منها ما كان في الفعل الضمف حين  
يلتقي بساكن آخر ، فقد كان الاتباع احد المسالك  
التي سار فيها العرب للتخلص من النقاء الساكنين .  
فقالوا : شد العبل ، ومز ، ومض ، باتباع لام الفعل  
للغاله . كذلك لجأ بعضهم الى الاتباع للتخلص من  
النقاء الساكنين في ميم الجمع ، فقالوا : عليهم الذلة .  
كراءة ابي عمرو ، وعليهم القتال كقراءة حمزة باتباع  
الميم لحركة ما قبلها .

ومن الالوان غير المطردة في التخلص من الساكنين القراءات الشاذة ( قم اليسل ) و ( قد استهزيء ) و ( قالت اخرج ) باباع العرف الساكن الاول لحركة العرف الذي بعد الساكن الثاني ..

ومن غير المطرد ايضا قراءة ( بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ) ياتياع الميم للحاء بعدها .

والقصد بهذه الاجراءات ما قصد بما جرى في المفردات : التخفيف القائم على تمثيل العمل الذي تقوم به أجهزة النطق .

وتحضع المركبات لاتباع يجري في العروض  
ابضا، أشهر أمثلته ما جاء في الحديث البشوي :  
« ارجعن مازورات غير ماجورات » ؛ فغير موزورات  
الوزر ) حولت الى مازورات اتباماً لـ ماجورات .

ومثاله ايضاً الحديث النبوى فى مدارب القبر :  
 « لا دربت ولا تلقيت ولا اهتديت » فابدل واو ( تلوت )  
 ياء اباما ليائى الفطين قبله وبعده .

اما الاباع المطرد في حركات المفردات فيتمثل في عدة ابواب نحوية وصرفية .

فالقياس في جمع المؤنث السالم من الالفاظ  
الثلاثية السائنة الوسط ان تتبع مينها فادها . فما  
كان على فعلة جمع على فعلات مثل ثمرة وثمرات ،  
وما كان على فعلة جمع على فعلات مثل حجرة  
وحجرات الا اذا كانت الكلمة معتلة العين او اللام .  
او كان المتكلمون من بني هذيل او تهيم . فلهم احكام  
اخري .

والقياس في الفعل الماضي هذه بنائه للمفعول :  
 ان كان مبدوءاً بناء زائدة ان يضم حرفة الثاني اتبعها  
 لا لوله مثل استخرج المعدن . والقياس في فعل الامر  
 المأمور فعل يفعل ان تضم همزة الوصل فيه اتبعها  
 لفظة عينه ..

والقياس عند بني تميم فيما كان على فعل  
العلقى العين من الاعمال كشهده ، والاسماء كفخد ،  
والصفات كمحك ؛ وما كان على نعيل العلقى العين  
ايضا كسعيد ورفيف ، القياس عندهم فيهما اتباع  
الناء للعين فيقولون شهد وفخد ورفيف .

وقال ميسى بن مهر : ان كل ( فعل ) كان ،  
فمن العرب من بخفة ، ومنهم من يثقله نحو مصر  
ومصر ، ويسر ويسر بالسكن والضم .

وأن كان مين ( فعل ) المفتوح الغاء حلقيا ساكنا  
جاز تعريكه بالفتح ، نحو الشعر والشعر والبحر  
والبحر ، (بالسكون والفتح) ، ومد ذلك ابهاعا لفتحة  
الغاء .

واما الإياع غير المطرد في حركات المفردات  
فأمثل له بقولهم : المغيرة ، البعوا اليم للغين ،  
ومتنن : أبعوا اليم للناء ، وابنوله : أبعوا اليم  
للهمرة ، ومنذ : أبعوا اليم للذال عند من قال : ان  
أصلها : من ذو ، وفيها .

كل هذه الالوان من الاباع : المطرد وغير المطرد،  
انما ارتكتها العربية لتبسر على التكلم النطق . فبدلا  
ان تقوم اجهزة النطق بعملين مختلفين في موضعين  
متقاربين مما قد يتطلب من الناطق جهداً او وعياً،  
كفتح اللغة مؤونة ذلك بازالة الاختلاف وجعل المعلمين  
مشابهين . واذن فالغرض من الاباع في مثل هذه  
الاحوال تيسير النطق وجعله عفوياناً .

وأترب الأمثلة على ما يشابه هذه الظاهرة ما يكون في باب الندب والاستفهام . فالقاعدة في المندوب أن يفتح آخره ثم يشبع الصوت به حتى تتولد الف مثل قوله : وازيداء ، فإن لم يمكن ذلك خوف اللبس أشبت الكسرة فتولد ياء مثل وأفلامكيه؛ أو الضمة فتولد واوا مثل وأفلاميده . فالمندوب يتنبئ بصوت مماثل لصواته النهائية دلالة على التفعع .

وإذا رأيك شيء في كلام فاستفهمت عنه متكرراً له ، جئت بزيادة في آخر الكلام دلالة على ذلك . فإن كان ما قبله مفتوحاً ، كانت الزيادة الفاء . وإن كان مكسوراً ، كانت الزيادة ياء . وإن كان مرفوعاً ، كانت الزيادة واوا . وإن كان ساكناً ، حركه لثلا يلتقي ساكنان . لأن هذه الزيادات مدادات ، والمدادات سواكن فتحررها بالكسر كما يحرك الساكن إذا لقيه الإلف واللام الساكن . فإذا قال الرجل : رأيت زيداً . قلت : أزیدنيه . فإن قال : رأيت مثمناً . قلت امتهناته ؟ لثلا يلتقي ساكنان . ويقول : قدم زيد . فتقسّى : أزیدنيه . فإن قال : رأيت مثمناً . قلت امتهناته ؟ فإن قال : أتاني عمر . قلت : أمره ؟ نهله الزيادة المماثلة للصوت المختومة الكلمة به دليل على ما يتعلّم بنفسه من انكار .

وإذن فقد كانت الزيادة في باب الندب دلالة على التفعع ، والزيادة هنا رمزاً إلى الانكار ، وكانت الزيادة في الباءين مماثلة للحركة التي تنتهي بها الكلمة التي تلحق الزيادة بها . وأذن فماده الزيادة دلالة على الحالة النسبية التي يعيش فيها المتكلّم حين تفوّه بها ..

والنتيجة الطبيعية لهذا أن اللغة العربية تلجأ إلى اتباع كلّمة ما بصوت مماثل لنهائيتها دلالة على ما يفتح في وجдан المتكلّم من مشامر . وعلى ضوء من هذا نقول إنما الاتّباع ومز على حالة شعورية خاصة تملّك قاله : قد تكون اعجباً في مثل حسن بن ، وقد تكون لفظياً في الدباء ... لا يفسر .. فمهما اختلف الشعور . فالاتّباع رمل له ..

والاصوات التي امتدّت لها اللغة في أمثال الندب والاستفهام الانكاري مبهمة ، لم تتحدد شكلاً ، ولم تكتسب معنى ، بل يقتضي على حالتها الأولى ، مجرد رمز مهم . ولقد وقف كثير من اصوات الاتّباع بهذه المرحلة ولم يتعدّها إلى مجال الوضوح . فائز

ومثاله أيضاً قوله : اني لآبه بالغدايا وبالعشايا . فجمعوا العشبة على المشابهة متابعة للغدايا .

كذلك تنوين المونع من الصرف في قوله تعالى : ( سلاسلاً وأفلالاً ) ، نونت سلاسل متابعة لأفلال .

ويمكن أن نجعل منه زيادة ( إل ) في ( أزيداً ) في قول ابن ميادة :

وجدنا الوليد بن الزيـد مباركا  
شديداً باحناء الخلافة كامله  
فربما فعل ذلك اباماً للوليد .

إذا نظرنا إلى هذه الأنواع من الاتّباع لم نجد المقصود منها التخفيف ، كما كان الحال في الأنواع الأولى ، وأيّما المقصود المشاكلة الصوتية؟ أعني أن يكون لكل من اللقطين زنين متماثل ، فيقع في الأذن مدبباً ، وفي الوجدان حلوا . غالباً ما الجمال الصوتي ، الشبيه بما نجد في السجع ، والثانوية والجناس .

ونخرج من هذا بان الاتّباع في مجاله الأكبر يمنع الناطق خفة وسهولة ، وفي مجاله الأصغر يمنع الساعي شعوراً جمالياً .

إذا انتقلنا إلى ما درسنا من الاتّباع وجدناه يستفيد قليلاً من المجال الأكبر ، وكثير من العمل الصوتي .

ونحن حين نمعن النظر في أسلوب الاتّباع نجد أنه يشبه أساليب أخرى تعرفها اللغة . فهو في أصله صوت لفوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، أو أن شيئاً الدقة التامة قلنا : صوت لفوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، أو أن شيئاً الدقة التامة قلنا : صوت لفوي يتبعه صوت آخر مماثل لآخر الصوت . فهما صوتان متماثلان في ختامهما ، وفي أكثر الأحيان في التسطط الأكبر من بنيتهم . فإذا ما انقا في حرف واحد ، وجدناها يتفقان في حرف آخر غير انهما اختلفا في موضعه ، فجعله أحدهما أولاً والثاني وسطاً ، مثل تبیح شقبیح ، وسلیخ مسیخ ..

ابضا من التمايز الصوتي بين التابع والتبوع ، لأن المستمع غير المتبه يظن أنه سمع اللفظ الواحد مرتبين . تدريراً و توكيداً ..

وصفة القول أن الاتباع ظاهرة لغوية جمالية : تدل على ما يعيشه المتكلم من انفعال . و تمنع المستمع منة فنية . ويجب أن تدرس مع منيلاتها من المظاهر اللغوية التي لا يقعد المتحدث فيها إلى الاخبار المجرد . ويرمى معه إلى المشاركة الوجدانية ..

العلماء انه لا معنى له . و حاروا في بعضه اذ حاولوا ان يلصقوا له معنى ما . ولكن بعض هذه الاصوات تهدى هذه المرحلة . و اكتسب معنى مستقلأ . وببعضها الآخر احد من الفاظ معروفة المعنى . صلحت من حيث اصولها لأن تكون انباءا . ولا شك ان امثال هذا النوع اكتسبت من الاتصال المعنوي بين التابع والتبوع توكيدا لل فكرة التي تعبر عنها . ولا شك - عندي - ان النوع الاول . المكون من تابع منهم . اكتسب توكيدا

